

غاية المرام في علم الكلام

مقابله وإفحامه في رسالته ينتهز دليلا قاطعا على صدق مقالته وإظهار الباري تعالى ذلك على يده مقارنا لدعوته ينزل منزلة الخطاب إنه رسول وإنه صادق فيما يقوله إذ لو كان ذلك اتفاقا لما وقع على وفق إخباره وعلى حسب إثباره واختياره إذ هو ممتنع بالنظر إلى الاستحالة العادية ولا سيما إن وقع ذلك منه متكررا .

وليس ذلك في ضرب المثال إلا كما لو كان بعض الملوك جالسا في رتبته قاعدا على سرير مملكته والناس مجتمعون لخدمته قياما في طاعته فقام واحد من عرض الناس وقال يا أيها الناس إني رسول هذا الملك إليكم بكذا وكذا وآية صدقي على ذلك أني إذا طلبت منه أن يقوم ثلاث مرات أو يحرك كفه أو يده مثلا فعل ولو أراد واحد منكم لم يجد إليه سبيلا فإنه إذا أتى له بذلك لم يتمار أحد من الحضور ولا يداخله شك أو فتور أنه صادق فيما ادعاه حقيق فيما أتاه .

والذي يؤكد ذلك إسناد تصديقه إلى متوقف على مشيئة الباري تعالى وإرادته دون مشيئته هو إرادته سرعة اقترانها بدعوته وإلا فلو كانت المعجزة مستندة إلى حوله وقوته لم ينتهز من ذلك دليل على كونه رسول رب العالمين فإنه لم ينزل اقتران المعجزة بدعواه منزلة التصديق له من الله تعالى كما إذا كانت المعجزة من خلق الله وفعله وداخله تحت مشيئته وحوله والمكابر لذلك جاحد لما أنعم الله عليه من العقل السني والنطق النفساني .

وبعد ما تقتزن المعجزة بدعواه على سبيل ما يجريه الله ويثبت صدقه في ذلك بطريق العلم بناء على ما احتفت به من القرائن الظاهرة والدلائل الباهرة فلا ينتهز عدمها بعد ذلك دليلا على كذبه وإبطاله رسالته وإلا لوجب أن ينقلب العلم جهلا